**3- المنهج الاجتماعي**

هو منهج یعمد إلى ربط الأدب بالمجتمع لأن الأدب مرآة تعكس المجتمع بكل مظاهره السیاسیة والاجتماعیة والثقافیة، وتعود هذه الدعوة القائلة بتوجیه الأدب وجهة اجتماعیة بصفة ممنهجة إلى أواخر ق١٨ وبدایة القرن ١٩م

نتج هذا المنهج نتيجة تداخل المذهب الواقعي في الادب مع علم الاجتماع. ويمكن ان نتلمس بدايات هذا المنهج ومؤثراته في المنهج التاريخي وخصوصا عند سانت بوف.

يقول (رينيه ويليك)، و(أوستن وارين) في كتابهما (نظرية الأدب): «الأدب مؤسسة اجتماعية أداته اللغة . وتنطلق فكرة المنهج الاجتماعي من النظریة التي ترى أن « الأدب ظاهرة اجتماعیة، وأن الأدیب لا ینتج أدبا لنفسه وإنما ینتجه لمجتمعه منذ اللحظة التي یفكر فیها بالكتابة وإلى أن یمارسها وینتهي منها »، وقد ردد بعضهم عبارة « الأدب تعبیر عن المجتمع » ، وهذا یعني أن العلاقة بین الأدیب والواقع الاجتماعي لیست علاقة من جانب واحد بل هي علاقة جدلیة فالأدیب یعكس ویصور الحیاة الاجتماعیة في بیئته، والأدب هو ثمرة إعادة بناء عناصر الواقع بلغة جدیدة هي لغة التعبیر

الأدبي، ومن هنا كان منطلق النقاد الاجتماعیین في قراءاتهم النقدیة یعتمد على الظروف الاجتماعیة « باعتبار هذا المجتمع هو المنتج الفعلي لهذه الأعمال الإبداعیة والفنیة »، أي أن المجتمع هو الذي یؤثر في الأدیب فیدفعه إلى الخلق الإبداعي كما یعني أیضا أن معرفة الظروف المختلفة لمجتمع ما، یمكننا من قراءة نقدیة سریعة لأعمال أدبائه فلا یكتمل فهم هذه الأعمال إلا في ظل الظروف التي أسهمت في خلقها أو تحكمت في إنتاجها. وهذا ما أكدته الناقدة الفرنسیة مدام دي ستایل Madame De Stàel ( 1766-1817)بقولها" إننا لا نستطیع فهم الأثر الأدبي وتذوقه تذوقا حقیقیا في معزل عن المعرفة والظروف الاجتماعیة التي أدت إلى الإبداع " ،فالأدب في رأیها یتغیر بتغیر المجتمع ویطرد تطوره مع تزاید القدر الذي یحظى به المجتمع من الحریات الفردیة والعامة.

**أسماء اخرى للمنهج**

عرف هذا المنهج بعدة أسماء منها: المنهج الواقعي، المنهج الماركسي، المنهج المادي التاریخي، المنهج الإیدیولوجي، النقد الجماهیري...إلخ، وذلك تبعا للاتجاهات والنزعات التي تفرعت عن الفلسفة الأم، وتبعا لخصوصیة كل ناقد في استثمارها.

**النشأة والتطور**

يعد جان باتيست فيكو(1668-1744) في كتابه ( العالم الجديد) أول من عدّ الادب جزءاً من المؤسسة الاجتماعية والسياسية للدولة مركِّزاً على دور الشعر في الحضارات القديمة. فهو يعتقد أن الملاحم تعبير عن المجتمع العشائري والاقطاعي، وان الامثال والحِكَم تعبير عن المجتمع الفلاحي الصغير، وان المسرحية تعبير عن المجتمع المدني، وان ادب البيكارسك( الشطار) هو تعبير عن تفتت العلاقات الاجتماعية في نهاية العصور الوسطى، وان الرواية هي تعبير عن ظهور البرجوازية الرأسمالية.

ویرى بعض النقاد أن الإرهاصات الأولى للمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب ونقده قد بدأت منهجیا منذ ان أصدر شاتوبريان كتابه( عبقرية المسيحية)، ومدام دي ستایل كتابها بعنوان " الأدب في علاقاته بالأنظمة الاجتماعیة" وذلك سنة ١٨٠٠م ،وقد تناولت فیه تأثیر الدین والعادات والقوانینن في الأدب وتأثیر الأدب فیها، فأدخلت بذلك المبدأ القائل " الأدب تعبیر عن المجتمع". في حین یرجع بعضهم الآخر الجذور الأولى لهذا المنهج إلى هیجل الذي " ربط بین ظهور الروایة والتغیرات الاجتماعیة وذلك حین أشار إلى أن الانتقال من الملحمة إلى الروایة جاء نتیجة لصعود البرجوازیة وما تملكه من هواجس خلقیة وتعلیمیة "،أما بعض النقاد المعاصرون فیرون أن نشأة المنهج الاجتماعي ارتبطت بظهور الفلسفات الواقعیة في العصور الحدیثة ودعوتها إلى اتجاه الفن نحو الواقع الاجتماعي بنوع خاص. وأعتقد أنه من الصعب رد هذا المنهج لكتابة و احد أو اثنین بقدر ما أرى أنها نتاج لتطور تاریخي واجتماعي وسیاسي وثوري وذلك طبقا لما سوف نراه من إسهامات كثیرة لنقاد بارزین منحوا النظریة الاجتماعیة بعدها المنهجي وعمقها الفكري مثل: كارل ماركس ١٨١٨/١٨٨٣( وسان سیمون ولوسیان غولدمان ١٨٢٥/١٧٦٠ وبوشكین وبلنسكي وأوغست كونت ١٨١١/١٨٤٨ ودوركهایم) ١٨٥٧/١٧٩٨ ١٨٥٨/ ١٩١٧ (وجون ستوارت (١٨٣٧/ ١٨٠٦ وجون ستيوارت میل ولوكاتش وبلیخانوف ...إلخ.

لقد شهد هذا المنهج تحولات مفهومیة عكست محاولات كل ناقد تجاوز العثرات والهفوات التي تركها سابقوه، والواقع أن اتجاه الأدب نحو المجتمع وتعبیره عنه عند الغرب لا یرجع إلى هذه المدة الزمنیة من العصور الحدیثة بل یرجع إلى عصور وأزمان أبعد من هذا بكثیر، وتاریخ آداب هذه الأمم خیر شاهد على هذا، فأقدم النماذج الأدبیة التي عرفتها الأمم القدیمة مثل بعض الملاحم « كالإلیاذة والأودیسة تبث لبعض الباحثین أنها لیست من تألیف هومیروس وحده بل هي تراث شعبي شارك في تألیفه الكثیر من الشعراء لذلك یمكننا القول أنها من صنع المجتمع تعبر عن واقعهم » ،وینطبق هذا الحكم على كلیلة ودمنة الذي« لم ینفرد بتألیف قصصه مؤلف بعینه بل تشارك في ذلك كثیر من علماء وحكماء الهند ویتضح هذا من قول عبد االله بن المقفع:" هذا كتاب كلیلة ودمنة وهو مما وضعه علماء الهند من الأمثال والأحادیث التي ألهموا أن یدخلوا فیها أبلغ ما وجدوا من القول في الذي أرادوا.

**مفاهيم نقدية وأدبية أنتجها المنهج النقدي:**

استطاع المنهج الاجتماعي أن يبلور مجموعة من المفاهیم والمصطلحات النقدیة الهامة منها:

* الفن للمجتمع
* رسالة الأدب
* الأدب الثوري
* الأدب الملتزم
* الأدب الهادف
* الانعكاس
* رؤیة العالم

**أسس المنهج الاجتماعي وخصائصه**

للمنهج الاجتماعي مجموعة من الاسس والمبادىء أو الخصائص نذكر منها:

- الأديب هو ابن بيئته لا يعيش معزولا عنها.

 -السياق الاجتماعي يتولد منه الإنتاج الأدبي والأدب ظاهرة اجتماعیة

-أن الإنتاج الأدبي هو جزء لا يتجزأ عن السياق الاجتماعي والواقع المعيش

-الأدب صورة للمجتمع، و لسانه، ومرآة عاكسة للانتماء الطبقي للأديب، فالأدیب یصدر عن أفكار طبقته وهمومها وموقفها

-الأدب يخاطب المجتمع وهو صورة منه، والأدیب لا ینتج أدبا لنفسه، وإنما لمجتمعه الذي هو جزء منه، والقارئ حاضر في ذهن الأدیب، وهو وسیلته وغایته منذ تفكیره في الكتابة وفي أثناء ممارسته لها وعقب الانتهاء منها

-هو نقد مضموني أي يهتم بمضمون النص.

-الأدب ناقل ومروج للأفكار السياسية.

-النقد الاجتماعي نقد تفسيري يحاول الناقد من خلاله إبراز الدلالات الاجتماعية أو التاريخية الكامنة في العمل الأدبي

-لا یطلب من الأدیب أن یعكس أدبه من علاقات مجتمعه وأوضاعه فحسب بل یطلب منه أن یشارك في تكییف مجتمعه وحل مشاكله وقضایاه.

- أسبقیة العوامل الموضوعیة أي العوامل الخارجیة المكونة للشروط الموضوعیة للإبداع الأدبي

- ضرورة الالتزام في الأدب.

-النقد الاجتماعي نقد تقويمي يعلي من شأن الأديب الملتزم بقضايا أمته.

**عيوب المنهج الاجتماعي**

تتلخص عيوب هذا المنهج فيما يأتي:

1. المبالغة في إظهار التفوق يُركز المنهج الاجتماعي في النقد على الأعمال النثرية؛ كالمسرحيات والقصص مع إيلاء أهمية لشخصية البطل، وإبراز تميزها وتفوقها على الواقع بشكل قد يصل إلى التزييف بسبب الإسراف في التفاؤل، ويُعد هذا الأمر سلبياً لسببين: الأول لأنّ الإفراط أمر سلبي في حد ذاته، والثاني لأنّ تصوير البطل لا بُد من أن يكون واقعياً ويعكس الواقع الحياتي المعيش.
2. الإفراط في المضمون على حساب الشكل يُركز المنهج الاجتماعي على مضمون العمل الأدبي بشكل عميق ومكثف على حساب الشكل، ولهذا السبب ظهر ما يُعرف باسم علم اجتماع النص الذي جعل توجهه الاهتمام باللغة؛ لأنها الوسيط بين الحياة والأدب، وأداة لفهم إبداع المبدع، وبالتالي سيكون هناك عناية بالشكل والإبداع إلى جانب المضمون.
3. سيطرة التوجّه المادي المنهج الاجتماعي مرتبط بالاتجاه الماركسي، وبحسب هذا الاتجاه فإنّ الأمور الدنيوية هي صاحبة السلطة وهي التي تُوجه هذا المنهج، وبالتالي فإنّ هذا المنهج يلغي جانب الغيبيات وأثرها في توجيه حياة الأدباء.
4. رؤية الأدب على أنه انعكاس للظروف الاجتماعية للأديب من المنطق أن يتصل الإنسان بشكل عام بواقعه وظروفه الاجتماعية، ولكن الأديب قد يُعبّر عن أمور وأفكار ومشاعر مختلفة عن هموم مجتمعه، وحصر الأديب في هذه الزاوية أو النظر إلى أعماله والحكم عليها من جانب واحد، وهو أنّ أدبه انعكاس لظروفه الاجتماعية يُعد عيباً من عيوب المنهج الاجتماعي.
5. تهميش ذات الأديب في الوقت الذي يهتم فيه المنهج الاجتماعي في النقد الأدبي في المجتمع وينظر للأدب على أنّه مجرد انعكاس له، يُستنتج من ذلك بأنّ ذات الأديب قد تُهمش، لأنّ الأديب أو المبدع قد ينطلق في إبداعه من ذاته، وعوالمه الخاصة، وهواجسه الشخصية الحالمة بعيداً عن واقعه. يغدو بذلك استناداً إلى أسس المنهج الاجتماعي فاشلاً في تقديم المطلوب منه، إذ يطلب منه عكس واقعه أولاً ثم تقديم البديل المأمول، لذلك فإنّ السؤال هُنا أين ذات الأديب من هذا كله؟ ولا يُقصد بذلك أن تكون هي الأساس، ولكن لا بُد من الاهتمام بها في منظومة متكاملة إلى جانب أدوات المبدع والشكل وغيرها.

**المنهج الاجتماعي في النقد الادبي العربي الحديث**  
ظهر النقد الاجتماعي لأول مرة في القرن السادس عشر، وقد لاقى المنهج الاجتماعي بشكل عام اهتمامًا كبيرًا من خلال العديد من النقاد العرب، وذلك في كل من المشرق والمغرب، ومن أبرز هؤلاء الرواد سلامة مرسي ولويس عوض وكذلك نجيب العوفي علاوة على صلاح فضل وغيرهم.